

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

د. نهى أحمد مهدى

كلية الآداب - جامعة القاهرة

Abstract

The Role of Rumors in the Annals of Tacitus

A familiar characteristic of the historical works of Tacitus especially the Annals is the numerous rumors that often accompany his narrative. Rumors appear on various occasions and for diverse purposes. The technique by which Tacitus in the Annals conveys an impression for which as an historian he is not willing to take responsibility, but as an artist he could guide the reader's interpretation of them.

Tacitus has two ways for presenting the rumors, first, he cited the rumor and proved to be false, example the rumor of Drusus's death by poisoned cup. The second: he presented originally in the form of rumors and referred to them later in the narrative as if they were established facts and the impression which they create is powerfully implemented.

Tacitus has concluded that it is often lack of information that prepares the ground for growth of rumors especially in times of crisis and death of any emperor that people tend to encourage rumors.

Rumors are one of the devices that Tacitus uses to create an impression that might not be in harmony with, even contradicted by the facts. This is not babble indiscriminately repeated, it is a collection rumors carefully selected and arranged to throw discredit on the principate from its inception designed to set the stage for the drama that is to follow.

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

ملخص البحث

استخدم تاكيتوس العديد من الأدوات الأدبية بانتظام في أعماله التاريخية وخاصة " الحوليات ". وكانت الشائعات من أهم هذه الأدوات، فمن خلالها يوجه تاكيتوس القارئ إلى بعض التفسيرات والتأويلات التي لا يستطيع المؤرخ أن يتحمل مسؤولية دقتها التاريخية، ولكنه كأديب يستطيع أن يوجه القارئ إليها. وكان تاكيتوس لديه طريقتين في تقديم الشائعات، الطريقة الأولى، أن يقدم هذه الشائعات ويثبت زيفها وهي حالة واحدة هي شائعة موت دروسوس مسمومًا، والطريقة الثانية أن يذكر الشائعة دون إثبات زيفها أو تصديقها، بل يقدم بعض التعليقات التي تخلق انطباعاً ووجهة نظره الخاصة وبالتالي يجعل القارئ يتعامل مع هذه الشائعات على أنها حقائق مثبتة. ويستخدم تاكيتوس مثل هذه الشائعات عندما يريد أن يقدم انطباعاً ليس متاغماً مع مادته التاريخية. ويحدد لها أوقاتاً محددة، وأنسب هذه الأوقات هي أوقات الأزمات وموت أحد الأباطرة أو مشاهير الرجال، وهي الأوقات التي يميل فيها الشعب إلى الاستماع إلى الشائعات وبروجها.

وللشائعات وظائف كثيرة فهي تظهر مشاعر الشعب تجاه الحاكم، ولها دور في تحديد مجرى الأحداث التالية للشائعة، وتستخدم أيضاً في تجديد الأحداث التاريخية، وللشائعة وظيفة نفسية في تحديد الأسباب النفسية التي تكمن وراء الشائعة، وكذلك دور سببي يبين أسباب حدوث الحدث، كذلك من وظيفة الشائعات دورها في الانتقالات المكانية والزمنية وذلك يرجع لسرعة انتشار الشائعة من مكان لآخر وقوة تأثيرها في الماضي والحاضر.

ولقد أثرت الشائعات على مصداقية تاكيتوس في سرده للأحداث التاريخية، وذلك لأن اهتمام تاكيتوس كان منصباً على إكمال الأحداث بشكل درامي من وحيه الخاص معتمداً على الشائعات. فيصبح من الصعب اكتشاف الحقيقة التاريخية. ويرجع ذلك إلى براعة تاكيتوس في ترتيب هذه الشائعات بحيث يجعلها جزءاً لا يتجزأ من سياق الحدث وبالتالي لا نستطيع أن نفرصها عن سرد الأحداث التاريخية. وكان هدف تاكيتوس هو أن يخرج القارئ ببعض الأحكام والانطباعات عن الأسرة اليوليوية - كلاودية لا يستطيع أن يقدمها كمؤرخ ولكنه يجعل القارئ يصل إليها بنفسه عن طريق براعته الفنية وتأثيراته الدرامية.

مقدمة

استخدم تاكيتوس العديد من الأدوات الأدبية بانتظام لتصبح من السمات المميزة لأسلوبه، ومن هذه الأدوات الأساليب الخطابية التي أتاحت له أن يوجه القارئ إلى بعض التفسيرات والتأويلات التي لا يستطيع المؤرخ أن يكتبها أو أن يحرف بها الحقائق، ولكنه كأديب يستطيع أن يوجه القارئ إليها.⁽¹⁾ واستخدامه لهذه الأدوات المختلفة في أسلوبه جعله قادرًا على جعل ادعاءاته مقبولة ومقتعة، هذه الأدوات التي تجعل تاكيتوس كأديب يقدم انطباعات مختلفة عن أباطرة الأسرة اليوليوية - كلاودية وهو ما لا يستطيع تاكيتوس المؤرخ أن يتحمل مسؤوليتها.

أول هذه الأدوات كان فن التعريض، وهو من أهم الأساليب الخطابية التي استخدمها تاكيتوس في الكتب الستة الأولى من الحوليات والتي تعالج فترة عهد تيبريوس، واستطاع من خلالها أن يترك في ذهن القارئ انطباعًا عن الاستبداد والظلم في عهد تيبريوس. وكان فن التعريض متمثلًا في تجنب الاتهام المباشر كما فعل في الكتاب الأول من الحوليات حينما تحدث عن جريمة اغتيال أجربيا

¹ - Chapman.C.S., " The Artistry of Tacitus " G&R vol. 16. N.47 (1947) p. 85 .

أكد الأستاذ تشابمان على براعة تاكيتوس الفنية في تصويره الأحداث التاريخية وتقديم العديد من التفسيرات و الاقتراحات الشخصية البديلة ، و جعل تاكيتوس في المرتبة الأولى من حيث البراعة الفنية بين مؤرخي عصره، واستشهد ببراعة تاكيتوس الفنية بالحوليات الكتاب الرابع عشر و قصة قتل نيرون لأمه أجربينا .

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

بوستوموس^(٢) (Agrippa Postumus) والتي أطلق عليها الجريمة الأولى في العهد الجديد أي عهد تيبيريوس^(٣).

" Primum facinus novi principatus fuit Postumi Agrippae caedes,"

^٢ - Iulius Caesar Agrippa هو الابن الثالث لماركوس فيبسانيوس أجريبا M. Vipsanius Agrippa و يوليا Iulia ، ولد عام ١٢ ق. م ، وبعد وفاة والده تيناه أوغسطس مع تيبيريوس عام ٤ م وأصبح يدعى أجريبا يوليوس قيصر Agrippa Iulius Caesar ، وفي عام ٦ م طرده أوغسطس من العائلة اليولية و نفاه إلى سورينتوم Surrentum ثم في عام ٧ م نفاه مجلس الشيوخ إلى جزيرة بلاناسيا Planasia ، ولقد زاره أوغسطس في هذه الجزيرة و بعد موت أوغسطس عام ١٤ م قتل أجريبا مباشرة .

OCD s.v.Iulius Caesar Agrippa.

³ - Allen. W. J. R. , " The Death of Agrippa Postumus ." TAPA.vol .78 , (1947) pp . 131-139 .

وضح آلان Allen أن موت أجريبا بوسوموس كان موتاً طبيعياً و ليس موتاً إجرامياً ، و قد قدم عدة دلائل منها

١ . إن تفاصيل سرد موت أجريبا عند تاكيتوس مختلفة عن ديو و كأن تاكيتوس لديه سلطة الاطلاع على المكائد السرية في القصر دون غيره من المؤرخين .

٢ . يبدو أن سويتونيوس و تاكيتوس قد رجع إلى نفس المصادر ، إلا أن هناك نقطة اختلاف واضحة و هي الدور المنسوب إلى ساللوتيس كريسبوس Sallutius Crispus (و هو عند تاكيتوس من قام بقتل أجريبا بوستوموس و أجريبا المزيف و هو العبد كليمينس Clemens) لم يذكر هذا الشخص عند سويتونيوس و ديو ، و هذا يجعلنا نستنتج أن سرد تاكيتوس لهذه الحادثة كان يعتمد في المقام الأول على الشائعات ، و قد أكد تاكيتوس أن كريسبوس هذا كان مخصص للقيام بالمكائد السرية لكل من أوغسطس و تيبيريوس ليوضح أن موت أجريبا جاء من خوف تيبيريوس على عرش الإمبراطورية .

٣ . وضح أيضاً كاتب هذا المقال أن سرد تاكيتوس لم يعتمد على أية شهود عيان.

٤ . كذلك قال إن سرد تاكيتوس قد أكد على السرية التامة لهذه الجريمة بالرغم من وجود ثروة العامة عن المحاكمة، وهذا ما نجده أيضاً عند موت جيرمانيكوس (الحوليات، الكتاب الثالث. فقرة ١٩) وموت دروسوس (الحوليات، الكتاب الرابع. فقرة ١١)

Atrociore simper fama erga dominantium exitus.

"يكون تأثير الشائعة دائماً قاسياً عندما يموت الحاكم ."

و لكن ترى الباحثة أن موت أجريبا ليس موتاً طبيعياً و أنه مات مقتولاً كما ذكر عند تاكيتوس وإن كان هذا السرد معتمداً على الشائعات إلا أن بعض هذه الشائعات حقيقية و لن تأتي من فراغ ، و الدليل على ذلك موت العديد ممن كانوا ينافسون تيبيريوس على عرش الإمبراطورية ، هل كان كل هذا العدد يعد موتاً طبيعياً ، ولا يفوتنا دور ليفيا في اعتلاء ابنها عرش الإمبراطورية و دور كل أمهات الأباطرة الأخريات في اعتلاء آباءهن عرش الإمبراطورية و الذي يصل إلى القتل و المؤامرات و الدسائس . عن هذا الصدد انظر رسالة دكتوراه "صورة نساء القصر في عصر كلاوديوس من خلال الدراسة التحليلية

"لحوليات" تاكيتوس لنفس الباحثة ، القاهرة ٢٠١٦ . ص . ١٥٦ - ١٨١ .

" إن أول جريمة للعهد الجديد (عهد تييريوس) كانت قتل أجريبا بوستوموس " (4)

وقد طرح تاكيتوس الأسباب التي تجعل القارئ لا يصدق زعم تييريوس بأنه كان يتصرف وفقاً لأوامر أوغسطس، وصرح تاكيتوس أن تييريوس وليفيا هما اللذان أصدرتا الأمر بقتل أجريبا. وذلك بسبب خوف تييريوس من أن يعتلى أجريبا عرش روما وكراهية ليفيا.⁽⁵⁾ فتاكيتوس يتجنب الاتهام المباشر ويركز على الدوافع ويحلل الأسباب ويعيد بناء الأفكار والمشاعر والنوايا. هذا الافتراض ونفاد البصيرة إلى نوايا الشخصيات الحقيقية تحت القناع، ما يميز تقنية تاكيتوس الفنية، وهو ما أضرمه وقلل الثقة به كمؤرخ.⁽⁶⁾

والوسيلة الثانية التي يستخدمها تاكيتوس كأداة فنية هي الشائعات، موضوع الدراسة، حيث سوف نناقش الدوافع من سرد هذه الشائعات، والطرق المستخدمة في وضع هذه الشائعات داخل السرد، ودور هذه الشائعات، وهل أثرت على الحقيقة التاريخية وموضوعية تاكيتوس كمؤرخ. هذا ما سوف توضحه هذه الدراسة.

أولاً: تأثير الخطابة على كتابات تاكيتوس التاريخية

يدعى تاكيتوس في بداية الحوليات بأنه يفحص مادته دون أن يصب جام غضبه على أحد يكرهه أو محاباة شخص يحبه. مؤكداً أنه سوف يبتعد عن أي دوافع شخصية:

" sine ira et studio, quorum causas procul habeo."

⁴ - Tac .Ann . 1. 6. 1.

⁵ - Martin . R.H., " Tacitus and The Death of Augustus " CQ , vol, 5 , N,1 (1955) p. 123 .

يذكر الأستاذ مارتن أن أول جريمة في عهد تييريوس كانت موت أجريبا بوستوموس كما كانت أول جريمة في عهد نيرون هي موت سيانوس و ذكر عدة توازيات عند تاكيتوس منها التوازي بين الجملتين بداية الحوليات الكتاب الأول وبداية الحوليات الكتاب الثالث عشر، و كان ثاني توازي قدمه هو التوازي بين الإمبراطور أوغسطس و كلاوديوس في تبني كل منهما ابن زوجته: الأول تبني تييريوس و الأخير نيرون، والتوازي الأخير كان بين ليفيا وأجريبينا الصغرى ودورهما في التخلص من الوريث الشرعي لإفساح الطريق لابنيهما لتولي العرش، الأولى في التخلص من أجريبا بوستوموس، والأخيرة في التخلص من بريتانيكوس. وهذا دليل آخر على قتل أجريبا وليس موتاً طبيعياً .

⁶ - Ryberg. I .S., " Tacitus'Art of Innuendo " TPAPhA . VOL . 73 (1942)PP. 383-385 .

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

" بلا غضب أو حماسة، فعن مثل تلك الدوافع أنا بعيد كل البعد "⁽⁷⁾ تقف براعة تاكيتوس الأدبية وراء مهارته الأسلوبية وبراعته كراوي للأحداث. ونستطيع القول إن تاكيتوس قد تعلم في فترة أواخر القرن الأول الميلادي، وهي الفترة التي شهدت الخطابة فيها تطوراً كبيراً بحيث أصبحت تحتل المركز الأول في التعليم داخل المدارس، وكانت معايير الحقيقة التاريخية والموضوعية تخضع لفنون البلاغة من فن الإقناع الفعال وفن الجدل والأساليب الدرامية، كذلك التأثر بالنغمة التعليمية والأخلاقية لهذه الأساليب الخطابية بدرجة كبيرة.⁽⁸⁾ وكانت النظرة الرومانية للتاريخ هي نظرة تعليمية في المقام الأول، تهدف إلى الوصول إلى القيم الأخلاقية. يتفق تاكيتوس مع الموروث الروماني بأن وظيفة التاريخ تعليمية وأخلاقية في المقام الأول، لذا فإن تاكيتوس في كتابة التاريخ كان يروى ما يجذب الانتباه إلى الأفعال الفاضلة لتكون المرشد الأخلاقي للأجيال القادمة. وكانت الشائعات لها دوراً واضحاً في الوصول إلى عمق الشخصية وسبر أغوارها واكتشاف مقومات هذه الشخصية وتأثيرها على الدولة، لذلك نجد تصوير الشخصية جاء من خلال انغماس الشخصية في الحياة السياسية، وكانت الشائعات التي وردت لديه معظمها سياسية في المقام الأول.

كذلك لاحظ ووكر Walker أن تاكيتوس يميل إلى البحث عن القيمة الأخلاقية في كل حدث يصفه، بالإضافة إلى المحافظة على إبقاء المظهر الخارجي للإنصاف وعدم التحيز.⁽⁹⁾ وهذا ما جعل الدراسيين لتاكيتوس يصفون أسلوبه بالأسلوب الخطابي ويصفون تاكيتوس بالفيلسوف الأخلاقي. هذه الازدواجية (أي الأسلوب الخطابي والأخلاقي مع التأكيد على أنه يذكر الحقيقة التاريخية) ما جعل تاكيتوس يبحث عن فن البدائل و الشائعات التي تتيح له أن يقدم تفسيرات عديدة للحدث وللشخصية التي

⁷ - Tac. Ann. 1.1.15 .

⁸ - Ibid. 4.33 .2 .

⁹ -Walker , B . , The Annals of Tacitus : A Study in the Writing of History , Manchester , 1962. p .153 .

يصفها.^(١٠) لا شك أن هذه الشائعات تتعلق بالأحداث والشخصيات، وهي تظهر في مناسبات مختلفة ولأغراض متنوعة. وكانت الشائعات إما شفوية أو مكتوبة أو محادثات أو اعتقادات لبعض العامة. فالشائعات طبقاً لتاكيوتوس يمكن أن تنتقل سلوك الشعب وأفعالهم.^(١١)

دوافع تاكيوتوس لسرد الشائعات في الأحداث التاريخية

كانت الشائعة تلعب دوراً مهماً في ترتيب أحداث السرد التاريخي، فمنذ أن بدأ تاكيوتوس في كتابة عمله " الحوليات " اتبع عدة أشياء في ترتيب الأحداث أهمها هي الترتيب الزمني الصارم، والذي أجبره لكتابة الأحداث ووضعها الواحدة بجانب الأخرى، تلك القيود في كتابة التاريخ يمكن التغلب عليها بطريقتين الأولى هي التمهيد smoothing في انتقال الحقائق التي ليست ذات صلة بالموضوع الرئيسي. والطريقة الثانية هي إعادة سرد الأحداث بشكل يتعلق بالفكرة الرئيسية (موضوعي) وهذا بالطبع يكسر الاستمرارية الزمنية. وفي كلتا الطريقتين فإن استخدام الشائعات كان أداة مفيدة بالنسبة لتاكيوتوس.^(١٢)

وكانت المشكلة الرئيسية للنظرة التاريخية للشائعات هي أن تاكيوتوس جعل هذه الشائعات جزءاً لا يتجزأ من سياق الحدث بحيث لا نستطيع أن نفصلها عن السرد التاريخي للأحداث. وكان دافع تاكيوتوس لسرد مثل هذه الشائعات، أنه يرى من أمانته كمؤرخ أن يسرد كل الأحداث عند كل السابقين له وكذلك كل المصادر التي بين يديه ومن بين هذه المصادر هي الشائعات.^(١٣)

¹⁰- Sullivan .D ., "Innuendo and The " Weighted Alternative " in Tacitus .." CJ. (1976) PP. 312- 313.

¹¹- Shatzman . I., " Tacitean Rumours ", Iatomus , vol. 33 . N.3 (1974) . p. 549.

¹²- Autin .L . " Rumour as A Literary Device in Tacitus " Histos Working Papers 2015

p. 2.

¹³- Ryberg. I.S., op. cit .p. 386.

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

طرق استخدام الشائعات

الطريقة الأولى: إثبات صحة أو زيف الشائعة

كان تاكيتوس يعلم أن استخدامه للشائعات لابد أن يكون بحكمة وكان لديه تحفظات حولها، لأن الشك في مصداقية الشائعات أمراً واقعاً، ويخشى تاكيتوس من المبالغة في الأخبار التي تنقلها الشائعة ويخشى أيضاً أن يقع القارئ في الاستنتاجات الخاطئة. كذلك يرى تاكيتوس أن الشائعات تنتشر بين الطبقات الدنيا في المجتمع، فهم الذين يصدقونها في البداية وينشرونها بالتحدث عنها وتصديقها والمبالغة فيها. لذلك إذا قلنا إن تاكيتوس قد انتقد ظاهرة الشائعة، نجده في الوقت نفسه يرى أن الشائعة ربما تحمل في طياتها بعض الحقائق التاريخية. بمعنى آخر، يرحب تاكيتوس بالشائعات التي تكون مناسبة لرأيه الخاص حول الشخصيات والأحداث. فهو كمؤرخ لا يستطيع أن يهمل مثل هذه القصص الشعبية، فالجمهور يتحدث عنها ويصدقها وربما هي جزء من البيئة التاريخية التي يصفها.^(١٤) لذلك نجد تاكيتوس في بعض الأحيان يذكر الشائعة ويثبت زيفها، مثال ذلك سرده لحادثة قتل دروسوس^(١٥) Drusus بالسم، وهذه الشائعة التي يذكر فيها تاكيتوس رأيه الخاص، حيث ذكر أن سيانوس قرر أن يقتل دروسوس بالسم.^(١٦) وأن سيانوس قد وشى ضد دروسوس قبل أن ينوى أن يسم أباه، ولقد تفادى تيبيريوس شرب الكأس المسموم وأعطاه لابنه دروسوس فشربه ومات في الحال.^(١٧) ولقد رفض تاكيتوس هذه الشائعة للأسباب التالية: أولاً: لأن الطبقة العامة هم من نشرها، ثانياً: لأنها لا تعتمد على مصدر موثوق فيه أو أي

¹⁴- Shatzman .I .op .cit . pp. 552-553 .

^{١٥}- يوليوس قيصر دروسوس Julius Caesar Drusus، هو الابن الوحيد المتبقى لتيبيريوس من فيبسانيا Vipsania، أصبح قيصرًا عام ٤ م عندما تبنى أوغسطس تيبيريوس، تزوج من ابنة جيرمانيكوس ليفيا يوليا Livia Iulia، أصبح قنصلاً عام ١٥ م .

OCD s.v . Iulius Caesar Drusus .

¹⁶- Tac .Ann .4 .8 . 2

¹⁷- Ibid . 4 .11 , 1-2 .

سلطة، والسبب الثالث هو أن سيانوس يعتبر مخترع كل شر، وكان الإمبراطور تيبريوس يثق فيه ثقة عمياء. وكذلك بسبب الكراهية الشعبية لتيبريوس وسيانوس.^(١٨) لذلك رفض تاكيتوس هذه الشائعة وحذر قرائه بأن يكونوا حذرين نحو الشائعة. وهذه الشائعة توضح أن تاكيتوس لا يقبل كل الشائعات كمصدر تاريخي وإنما يرفض بعضها، ولكن يضطر إلى سردها في الأحداث لأنها مليئة بالمعلومات المفيدة المؤيدة لوجهة نظر تاكيتوس عن شر سيانوس وثقة تيبريوس العمياء فيه، وتوضح كراهية الشعب لهما. وتعتبر هذه الشائعة الوحيدة التي انتقدها تاكيتوس ورفضها.

الطريقة الثانية: وضع الشائعة دون تعليق عليها

وفي بعض الأحيان يذكر الشائعة دون إثبات زيفها أو صدقها مثال ذلك، الشائعة التي سردت في موت أوغسطس،^(١٩) حيث عندما شعر أوغسطس بالمرض البعض توقع مؤامرة من ناحية ليفيا، وكان سبب هذا الشك هي الشائعة التي تروى أن أوغسطس زار أجريبا بوستوموس سراً في المنفى.^(٢٠) يروى تاكيتوس هذه الشائعة دون إثبات صدقها أو زيفها، بل أعطاها شيئاً من التصديق حينما سرد ملاحظته أن تيبريوس وليفيا قد كتما موت أوغسطس وجعله سراً حتى يتمكن تيبريوس من اعتلاء عرش روما ويصبح الإمبراطور القادم. وهذه هي الطريقة الثانية لتقديم الشائعات عند تاكيتوس، حيث يقدم تاكيتوس الشائعة دون تقديم رأيه الخاص أو إيضاح كذبها أو صدقها، وإنما يقدم بعض التعليقات التي تخلق انطباعاً ووجهة نظره الخاصة، وبالتالي فإن القارئ يتعامل مع هذه الشائعات على أنها حقائق مثبتة. ويستخدم

¹⁸ - Tac. Ann. 4 . 11 . 3 .

¹⁹ - Ibid. 1 . 5 . 1 .

²⁰ - Ibid . 3 . 19 .

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

تاكيتوس مثل هذه الشائعات عندما يريد أن يقدم انطباعاً ليس متناعماً مع مادته التاريخية فيلجأ إلى مثل هذه الشائعات.^(٢١)

كذلك نجد تاكيتوس في بداية الحوليات يلخص الرأي الشعبي لحكم أوغسطس وتيبريوس، ويسجل كل الآراء المؤيدة والآراء المتناقضة دون أي تفصيل لتلك المؤيدة أو غير المؤيدة، ولكن في حالة تأييد التعليقات المؤيدة فإنها تكون ضئيلة للغاية، أما الأحكام غير المؤيدة تأخذ مساحة كبيرة من التفاصيل، وتوضع في آخر السرد أو الملخص النهائي للفصل ويسمح لها بالثبات والاستقرار بدون أي تعديل أو تصحيح.^(٢٢)

متى يستخدم تاكيتوس الشائعات؟

إذن فإن هذه الشائعات ليست ثرثرة دون قيمة وإنما هي مجموعة شائعات مختارة بعناية ومرتبطة في السرد لبث الشك وسوء السمعة في الإمبراطورية منذ بدايتها، وهي مصممة لإعطاء مساحة من الدراما في الأحداث التي تلي الشائعة.^(٢٣) لذلك نجد تاكيتوس ينتظر الوقت المناسب لاستخدام مثل تلك الشائعات في سرده، وأنسب هذه الأوقات هي وقت الأزمات، وهي الأوقات التي يتجه فيها الشعب لتشجيع الشائعات، مثل موت أحد الأباطرة وانتظار تولى من يخلفه، وهذا نجده في الكتاب الأول من الحوليات حيث نجد أحد عشر شائعة يصور فيها تاكيتوس الأيام الأخيرة من عمر أوغسطس وصعود تيبريوس لعرش روما، هذه الشائعات تعطي تاكيتوس الفرصة لمعالجة المصادر التاريخية طبقاً لوجهة نظره وتفسيراته الخاصة لبعض الأحداث.

²¹- Shatzman I. op . cit .pp . 557 – 560.

²²- Whitehead D ., " Tacitus and The Loaded Alternative ", Latomus . vol .38 . N. 2 (1979) p. 474.

²³- Ryberg I.S., op .cit. p. 387.

أيضاً تظهر الشائعات بكثرة في حالات الموت ، حيث ظهرت ثماني شائعات حول موت جيرمانيكوس ومحاكمة بيسو ، وشائعة تتعلق بموت دروسوس .^(٢٤)

دور الشائعات في الأحداث التاريخية

أولاً: دور الشائعة في إظهار مشاعر الشعب تجاه الحاكم

يستخدم تاكيتوس الشائعة لإظهار مشاعر الشعب وعواطفه تجاه المواقف المختلفة، مثال على ذلك الشائعة التي تروى أن العبد كليمنيس Clemens نشر شائعة أن أجربيا بوستوموس حياً، ذكر تاكيتوس أن هذه الشائعة تعبر عن رأى الشعب وتوضح شعبية أجربيا وسط شعبه، وذكر تاكيتوس أن الشعب هم من صدقوا هذه الشائعة. كما توضح رد فعل تيبريوس تجاه هذه الشائعة، فلو رفضها فلا بد أن يعترف للشعب أنه هو من دفع أجربيا للموت، وكذلك فهو مذعور من شعبية أجربيا التي تهدد عرشه، ويبين تاكيتوس أن الشائعة انتشرت لأن الشعب قبلها وصدقها، ولذلك يمكن أن نحكم على مشاعر الشعب تجاه حاكمهم، فهذه الشائعة تدل على أن تيبريوس كان مكروهاً من شعبه، لدرجة أن شبح أجربيا يعد تهديداً حقيقياً لقوته.

كانت الشائعات حول موت جيرمانيكوس^(٢٥) من الشائعات التي تبرز الرأي العام. فلقد صدق الشعب أن جيرمانيكوس أبعد عن روما وأرسل بيسو ليدمره وأن ليفيا وبلانكينا تأمرا ضده. ويمكن أن نستنتج أن الشائعات العدائية التي تعبر عن الرأي العام كانت شائعات عدائية ضد تيبريوس، وأن الشائعات المؤيدة والتي تعبر عن الرأي العام كانت موجّهة لجيرمانيكوس، هذه الشائعات خلقت انطباعاتاً مختلفاً عن الحقائق، وأن وصف الشعب يمكن أن يرسم من خلال الشائعات. وهذا يوضح قدرة المؤرخ على

²⁴ - Shatzman .I .op .cit . pp. 555- 556 .

^{٢٥} - يوليوس قيصر جيرمانيكوس Iulius Caesar Germanicus ، هو الابن الأكبر لنيرون كلاوديوس دروسوس Nero Claudius Drusus وأنطونيا Antonia ، ولد عام ١٥ او ١٦ ق . م ، تبناه تيبريوس عام ٤ م فأصبح من العائلة اليولية ، أصبح قنصلاً عام ١٢ م ثم فى عام ١٣ م أصبح حاكماً على ولاية الغال ثم جرمانيا .
OCD s.v.Iulius Caesar Germanicus .

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

التلاعب في تسجيل هذه الظاهرة طبقاً لأهدافه وأهوائه. وهذا يوضح أن الأساس الواقعي لهذه الشائعات ضئيل للغاية ، لذلك لم يجرؤ تاكيتوس على تقديمها كمادة تاريخية حقيقية (واقعية):

" ideo nimirum in extremas terras relegatum, ideo Pisoni permissam provinciam; hoc egisse secretos Augustae cum Plancina sermones. "

" بالتأكيد، ولهذا السبب، فلقد أرسل (جرمانيكوس) بعيداً إلى بلاد خارجية. ولهذا

السبب (أيضاً) قد عهدت هذه المقاطعة لبيسو، هذا ما جعل أحاديث ليفيا مع

بلانكينا تنتثر^(٢٦)

ثانياً: دور الشائعة في مجرى الأحداث التالية لها

كذلك كان للشائعة دوراً مهماً في الأحداث التالية عليها، فعلى سبيل المثال كان من أسباب قيام ثورة القبائل الثارثيين⁽²⁷⁾ عام ٢٦ م هي الشائعة التي تروى أن الحكومة الرومانية نوت أن تقسم ثريكا إلى دويلات بعيدة:

ac tum rumor incesserat fore ut disiecti aliisque nationibus permixti diversas interras traherentur.

" وبعدها انتشرت شائعة بالخارج أن الحلفاء المتفرقين والقبائل المختلطة سحبوا إلى

بلدان بعيدة⁽²⁸⁾

كذلك فإن الشائعات تعتبر وسائل قوة في الحرب وأداة تأثير على الرأي العام. وضح تاكيتوس أن البارثيين كادوا أن يخفقوا في تحقيق النصر كنتيجة للشائعة الزائفة التي أشيعت أن ملكهم قد قتل :

" fama tamen occisi falso credita exterruit Parthos victoriamque concessere."

²⁶ - Tac .Ann . 2. 82. 3 -5 .

²⁷ - قبائل الثارثيين، هم قبائل يعيشون حياة البرية في أعلى المرتفعات و الجبال ، هذه الحياة القاسية جعلتهم يتميزون بالعنف و الشراسة . أما عن تمردهم ضد الرومان فكان سببه رفضهم لتحمل رسوم و تجهيز جيوشهم بالجنود الشجعان، و عند انتشار الشائعة بتفرقهم و تقسيمهم إلى دويلات صغيرة حملوا السلاح و قاموا بتمرد ضد القوات الرومانية وقالوا إن لديهم السيوف والجنود و الروح التي تصمم على الحرية أو الموت .

Tac .Ann .4 .46 .

²⁸ - Ibid.4.46.10 .

" ومع أن شائعة موته الكاذبة التي تم تصديقها ، أخافت البارثيين ، إلا أنهم أحرزوا النصر " (٢٩)

ثالثاً: وظيفة الشائعة في التقنية الأدبية

يستخدم تاكيتوس الشائعات كوسائل أدبية يستطيع من خلالها قول ما لم يستطع تاكيتوس المؤرخ قوله. والمثال الأشهر هو اتهام ليفيا بقتل جايوس ولوكيوس حفيدا أوغسطس، وهذا عندما جاء تيريوس كوريث محتمل للإمبراطورية، حيث يخبرنا تاكيتوس أنه بعد موت أجريبا وموت جايوس وهو فى طريقه إلى إسبانيا ولوكيوس عند عودته من أرمينيا، ثم عقب تاكيتوس بجملته سواء بواسطة الحظ التعس أو بخيانة زوجة أبيهم.

" ut Agrippa vita concessit, Lucium Caesarem euntem ad Hispaniensis exercitus, Gaium remeantem Armenia et vulnere invalidum mors fato propera vel novercae Liviae dolus abstulit."

" وهكذا فارق أجريبا الحياة ، وكذلك فإن لوكيوس قيصر أثناء ذهابه إلى جيشه في إسبانيا، وجايوس عند عودته من أرمينيا ، وقد أصابه الوهن بسبب جرحه، لقي كلاهما حتفه بسرعة بفضل ما كتبه القدر عليهما أو بحيلة من زوجة أبيهما ليفيا " (٣٠)

ثم يقدم تاكيتوس الدليل على تصديق مثل هذه التهم وهي تأتي على شكل شائعات توضع في سرد الأحداث اللاحقة وكأنها حقائق راسخة، حيث نجده في الكتاب الأول من الحوليات يذكر الشائعة العامة التي تتهم ليفيا بأنها زوجة أب خطيرة على بيت القياصرة:

postremo Livia gravis in rem publicam mater, gravis domui Caesarum noverca.

²⁹ - Tac .Ann .6.35.15

³⁰ - Ibid.1 .3 . 10 – 13 .

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

" وفي النهاية، فإن ليفيا الأم الخطيرة على الدولة، فهي كزوجة أب خطيرة أيضًا على بيت القياصرة " (٣١)

تشير هذه الجملة إلى مسؤولية ليفيا عن موت جايوس ولوكيوس بالإضافة إلى موت أجريبا بوستوموس. (٣٢) ثم يذكر تاكيتوس أن فيبسانيا Vipsania وهي الابنة الوحيدة من أبناء أجريبا بوستوموس التي ماتت ميتة طبيعية والباقي قد قُتلوا إما بالسم أو بالتجويع. والمعنى يشير إلى موت أجريبا بوستوموس وجايوس ولوكيوس، ورغم أن الحقيقة لم تؤكد إلا أن الانطباع الذي تخلفه هذه الشائعات المستخدمة في شكل استخدام الألفاظ الأدبية قوي للغاية:

paucosque post dies Vipsania mater eius excessit, una omnium Agrippae liberorum miti obitu: nam ceteros manifestum ferro vel creditum est veneno aut fame extinctos.

" وبعد أيام قليلة فيبسانيا أمه (أم دروسوس)، وهي الوحيدة من أبناء أجريبا التي ماتت ميتة طبيعية، وباقي الذين قتلوا اعتقد بوضوح (أنهم قتلوا) إما بالأسلحة أو بالسم أو بالتضور جوعًا " (٣٣)

رابعًا: دور الشائعات في تجديد الأحداث التاريخية

يستخدم تاكيتوس الشائعات كوسيلة لتجديد وإنعاش الأحداث الماضية، ومثال ذلك عندما ذكر تاكيتوس اتهام أرنتيوس بجريمة الخيانة، تحدث تاكيتوس عن عام ٣٧م وأعطى مساحة تاريخية لكل الإدانات في عصر تيبيريوس ثم ينتبأ بالأحداث السوداء التي سوف تأتي بعد ذلك، ومن بينها اتهام أرنتيوس بالخيانة كنتيجة للأحداث السابقة. (٣٤)

³¹ - Tac . Ann. 1. 10 . 23 – 24 .

³² - Barrett A. A., " Tacitus , Livia and The Evil Stepmother" , Rheinisches Museum fur Philologie . vol. 144 . N. 2 (2001) . pp . 172 – 173 .

³³ - Tac. Ann. 3. 19. 10 – 13.

³⁴ - Ibid.6. 47. 1- 15.

خامساً: الدور النفسي للشائعة

من وظائف الشائعات أيضاً إعطاء السبب النفسي وراء الأحداث، حيث يرى الباحث شوتير Shotter أن توتر العلاقة بين تيريوس وجيرمانيكوس، له أسباب نفسية وهي الغيرة من شعبية جيرمانيكوس.⁽³⁵⁾ كذلك يقول إن تاكيتوس يركز على رد الفعل الشعبي لهاتين الشخصيتين على الأخص.⁽³⁶⁾ ويركز تاكيتوس على دور الشائعات في إيضاح رد فعل الشعب النفسي حول الأحداث، لأنه يعتبره جزءاً من الصورة الكاملة للحدث والتي بدونها تكون الصورة غير مدركة. وما يقصده شوتير هو أن تاكيتوس لم يحرف الحقائق التاريخية ولكنه أراد أن يوضح كل عناصر السلطة (من شخصيات وأدوات) في هذه الفترة، ويستطيع القارئ أن يدرك من هذه العناصر الحدث وسبب حدوثه. كذلك يرى شوتير أن توضيح مشاعر الشعب كان جزءاً من مهمته كمؤرخ. ومن واجبه أن يبينه حتى لو كان المصدر هو الشائعات الشعبية. واستشهد شوتير بالشائعة التي رواها تاكيتوس عن وجود مستند في يد بيسو قبل انتحاره بوقت قصير، ووضح أن أهمية هذه الشائعة أنها بالإضافة أنها تعطي معلومات معاصرة للحدث، فهي أيضاً توضح كيف كان رد الفعل الشعبي تجاه هذا الحدث، وكيف كان يشعر الشعب بالشك تجاه تيريوس وتواطئه مع بيسو لقتل جيرمانيكوس. هذه الشائعة وإن كانت من الدوافع غير المنطقية ولكنها أكثر قوة من الدوافع المنطقية، فهي تزود بالدليل الواقعي والنفسي للحدث، وفي الوقت نفسه فإن الشائعة لها دلالة نافعة في

³⁵ - Shotter D.C. A., " Tacitus , Tiberius and Germanicus " Historia, vol. 17, N. 2 (1968) p. 196 .

³⁶ - Williams K. F., " Tacitus' Germanicus and The Principate " Latomus, vol.68, N. 1, (2009) , p. 117.

يوضح الأستاذ ويليامز أن وصف تاكيتوس لشخصية جيرمانيكوس كان وصفاً ملتبساً بكل المزايا والفضائل والشعبية وذلك ليعكس روح تيريوس المظلمة و استبداد شخصيته، و يستطيع أن يخلق منه الطاغية .

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

إيجاد أسباب للأحداث الغامضة.⁽³⁷⁾ كذلك وجد أن الشائعات ربما تعكس التفكير المعاصر لشخصيات خاصة أو أحداث خاصة، وهنا تصبح الشائعة أسباباً في حد ذاتها، مثال ذلك وضح تاكيتوس الشائعات التي أحاطت استرضاء أوغسطس لأجربيا بوستوموس، كانت هذه الشائعة عبارة عن دليل ظرفي يوضح التأثير الحقيقي لأفعال تيبريوس حينما امتلئ بالخوف من تأثير أجربيا بوستوموس فأسرع إلى التخلص منه:

quippe rumor inceserat paucos ante mensis Augustum, electis consciis et comite uno Fabio Maximo, Planasiam vectum ad visendum Agrippam; multas illic utrimque lacrimas et signacaritatis spemque ex eo fore ut iuvenis penatibus avi redderetur:

" بالفعل حركت الشائعة القليل من الناس، وقبل شهور (قليلة) اختار أوغسطس أصدقاءه الأقرباء ورفيق واحد هو فابيوس ماكيموس ليبحر إلى جزيرة بلاناسيا في زيارة إلى أجربيا. وهناك ذرف كلاهما دموع كثيرة وبدت أمارات المعزة من الجانبين (لتعطي) الأمل في أن الشاب ربما يعود إلى منزل جده " (38)

كذلك اعتراض تيبريوس في السناتوس على اعتلائه عرش روما، كان سبباً لرد الشائعة التي تقول إن ليفيا كانت وراء اعتلاء ابنها تيبريوس عرش روما، حينما أقنعت أوغسطس في مرضه بتبني ابنها تيبريوس:

dabat et famae ut vocatus electusque potius a re publica videretur quam per uxorium ambitum et senili adoptione inrepsisse.

" وسرت الشائعة، التي ترى أن استدعائه وانتخابه (كمرشح) أكثر قوة للإمبراطورية، يرجع إلى مكيدة الزوجة (ليفيا) وتبني الرجل العجوز (لابنها) " (39)

³⁷- Shotter D.C.A., " Tacitus' View of Emperors the Principate ", ANRW ,vol.2,33,5 (1991). P. 3293.

³⁸- Tac .Ann . 1. 5. 2-5 .

³⁹- Ibid.1. 7 . 23 – 25 .

إذن فالشائعات لا يمكن تجاهلها فهي جزء من الحدث وبدونها لا يمكن إدراك الحدث بصورة متكاملة لأنها هي التي توضح بما يشعر الشعب، وبدونها لا يمكن تشكيل الانطباع الصحيح للموقف كي يسهل فهم سبب الأحداث.^{٤٠}

سادساً: الدور السببي للشائعات

ثم أضاف جيبسون وظيفة أخرى للشائعات عند تاكيتوس وهي الوظيفة السببية، وقال إن الشائعات بالرغم أنها ليست مصدرًا تاريخيًا إلا أنها كانت دافعاً سببياً للأحداث التي تليها. وذلك باستخدام بعض الكلمات مثل (quod, quippe, igitur, quia, eo, etenim) بمعنى: لأنه، السبب في ذلك، والحقيقة أنه.^(٤١) وأعطى أمثلة كثيرة منها الشائعات التي أشيعت حول موت أوتو^(٤١)، كانت من الأسباب المهمة لرحيل جالبا من القصر الإمبراطوري إلى الفورم بعد التقارير المتضاربة، فاقترح مؤيدي أوتو إغراء جالبا للخروج إلى الخارج.^(٤٢) وكان الهدف هو إسقاط جالبا.^{٤٣} ولكن السرد السابق يؤكد على دور الشائعات في موت جالبا:^(٤٤)

multi arbitrabantur compositum auctumque rumorem mixtis iam Othonianis,
qui ad evocandum Galbam laeta falso vulgaverint.

" صدق العديد هذه الشائعات (قتل أوتو في المعسكر) التي ألفت و انتشرت بواسطة

أحزاب أوتو، الذين نشروها بين الحشد ككذبة سارة لإغراء جالبا (للخروج خارج

القصر)^(٤٥)

⁴⁰ - Shotter D.C.A. op .cit. p. 3294 .

^{٤١} - أوتو ماركوس سالفوس Otho Marcus Salvius ، عاش فترة من ٣٢م إلى ٦٩ م ، هو زوج بوبابا سابينا Poppaea Sabina و صديق نيرون ، أعجب نيرون بزوجته فطلقها وأرسل أوتو إلى لوسيتانيا Lusitania كحاكم عليها عام ٥٨ م وظل بها حتى موت نيرون عام ٦٨ م ، ساند جالبا و تمنى ان يكون وريثه ، نظم مؤامرة بين الحرس البريتوري عام ٦٩ ، وحاول الظهور كوريث شرعي لنيرون.

OCD .s.v . Otho Marcus Salvius .

⁴² - Tac. Hist . 1.34.5.

⁴³ - Ibid. 1.39.1 .

⁴⁴ - Gibson . B.J., " Rumours as Causes of Events in Tacitus " , Materiali e Discussion per l'analisi dei Testi Classici , n .40 (1998) . p. 117.

⁴⁵ - Tac .His .1.34.10- 12 .

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

سابعاً: دور الشائعة في الانتقالات المكانية

من أجل أن يحفظ تاكيتوس البناء الحولي فإن تركيز الأحداث كان يتبادل بين منطقتين رئيسيتين، الموقف السياسي في روما و الموقف السياسي الخارجي، خاصة الحروب ضد البرابرة ، وهذا التبادل يبدو بالنسبة للقارئ المعاصر شيئاً اصطناعياً، وذكرونا ببساطة بأول عمل حولي انتقده شيشرون بشدة، فكان على تاكيتوس ليتفادى هذا، وليصف جزء من الأخبار يصل إلى المدينة من خلال إحدى المقاطعات، عندما يحتاج إلى تحريك وجهة النظر من مكان لآخر، أن يلجأ إلى الشائعة لتقوم بوظيفة التحريك المكاني ، وهذا نظراً لأن الشائعة أكثر قبولاً وأكثر تبريراً للأحداث والسرد، وكذلك لقدرة الشائعة على الانتشار في أماكن ومناطق ومسافات كبيرة. فنجد تاكيتوس كي يهدئ من الأحداث الجافة في روما كان يلجأ إلى الشائعة، مثال على ذلك نهاية الكتاب الثاني من الحوليات بعد موت جيرمانيكوس، يحاول بيسو السيطرة على سوريا ويفشل، ويستولي عليها سينتيوس^(٤٦) Sentius الذي أمر أن يصل هذا الخبر إلى روما: *dum Caesar cui Suriam permetteret consulitur. non receptae condiciones nec aliud quam naves et tutum in urbem iter concessum est.*

" في حين أن قيصر قد تشاور في احتمالية إرسال (بيسو) إلى سوريا ، فإن هذه الأخبار المحفوظة عبرت ليس إلى مكانٍ آخر و إنما (عبرت) إلى السفن و(وصلت) إلى طريق المدينة (روما) بسلام ".^(٤٧)

ولا يكتفي تاكيتوس بمجرد الانتقال التعبيري للشائعة وإنما يعرض مشاهد جغرافية بين الشرق والغرب، الولايات وروما عن طريق الجملة الظرفية *postquam... adferbantur والتي تشير إلى المسافة التي عبرتها الشائعة:*
At Romae, postquam Germanici valetudo percrebuit

^{٤٦} - جايوس سينتيوس ساتورنينوس Gaius Sentius Saturninus، هو من عائلة مرموقة من أتينا Atina، كان قنصلاً عام ١٩ ق.م و بريطوراً عام ٩٤ ق.م و كان بروقنصلاً على ولاية افريقيا عام ١٤ ق.م ، وفى عهد الإمبراطور تيبيريوس أرسل كموفد رسمي على ولاية سوريا .

OCD s.v.Gaius Sentius Saturninus.

⁴⁷ - Tac .Ann .2 .81 .10 .

cunctaque ut ex longinquo aucta in deterius adferebantur,
"ولكن عندما انتقلت كل الأخبار إلى روما، بعدما انتشر (خبر) تدهور صحة
جيرمانيكوس على نطاق واسع، كما زادت الأخبار عبر المسافة الطويلة بشكل
سيء"^(٤٨)

فمن المميزات الاجتماعية للشائعة قدرتها على تغطية مسافات طويلة واحتفاظها
بقوة سريتها وتأثيرها وسط الشعب، وفي الوقت نفسه تؤدي وظيفتها وهي تهدئة
الأحداث الانتقالية ليس فقط بين الولايات وروما وإنما أي سرد يعكس الأحداث التي
حدثت في مكانين.

ثامناً: دور الشائعة في الانتقالات الزمنية

لتقليل الاصطناعية في الإطار الحولي الذي كان يتبعه تاكيتوس في كتابة
الحواليات كان يضم الأحداث السعيدة معاً ولكن متفرقة في الزمن ليعطي الوحدة في
السرد التي تمده بالاستمرارية وتعطي التأثير الدرامي الواضح. تستخدم الشائعة في
أغلب الأحيان لتجعل هذا النظام الجديد أكثر قبولاً معتمدة على قوة تأثير الشائعة
الاجتماعية. وتصبح الشائعة بمثابة القناة الشعبية لتوصيل الأخبار الجديدة وتحافظ
على الوحدة الموضوعية للحدث.^(٤٩)

تأثير الشائعات على مصداقية تاكيتوس كمؤرخ

في عام ١٥٢٨ وجد مواطني مدينة ليون Lyon منزلاً يقع على الأطراف الشمالية
للبلدة، وُجد بهذا المنزل قطعة برونزية عرفت باسم القرص الكلاودي، هذه الوثيقة
هي نسخة من أعمال مجلس الشيوخ وهي عبارة عن خطاب كلاوديوس لمجلس
السناتوس بانضمام بعض الزعماء الغاليين إلى عضوية مجلس الشيوخ الروماني،

⁴⁸ - Tac. Ann. 2. 82. 1-2 .

⁴⁹ - Autin L . op .cit . pp. 3-4 .

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

وكان لهذا الخطاب صدى في حوليات تاكيتوس الكتاب الحادي عشر الفصل الرابع والعشرين، وبمقارنة هذه الوثيقة بما جاء عند تاكيتوس وجدوا أنه بالكاد يوجد تشابه بين النسختين، وقال الأستاذ ولايسلي إن تاكيتوس قد ألقى نظرة خاطفة على أعمال مجلس الشيوخ، وإنه قد خلق جواً أكثر ملائمة لخياله الأدبي دون أن يتقيد بالحقيقة التاريخية.⁽⁵⁰⁾ يعد هذا دليلاً على براعة تاكيتوس الفنية وعدم التزامه بالحقيقة التاريخية المطلقة، وليس معنى ذلك عدم مصداقية تاكيتوس، فقد يتبع الحقيقة التاريخية مع إدخال بعض الأساليب الدرامية على الأحداث والشخصيات . فلقد كانت وجهة نظر تاكيتوس التاريخية هي المقارنة بين حرية التعبير التي تمتع بها الرومان تحت حكم الجمهورية وحرمانهم من حرية التعبير وحرمتهم التي سادت من خلال المحاكم السرية والمغلقة في العهد الإمبراطوري، تحت هذه الظروف كان لا بد للشعب أن يلجأ إلى الشائعات لفهم الأحداث، بعض هذه الشائعات كانت حقيقية، فلقد رفض تاكيتوس واحدة أو اثنتين ولكنه ترك البقية دون تعليق على صدقها أو زيفها.

في سرد تاكيتوس لقصة موت جيرمانيكوس ومحاكمة بيسو وجدنا هذا السرد في سجلات أعمال مجلس الشيوخ أو ما يسمى SCPP⁽⁵¹⁾، ووجدنا أن تاكيتوس قد قدم هذه القصة على جزئين، الجزء الأول في الكتاب الثاني ويتحدث عن حكم بيسو لسوريا منذ أن عينه تيبيريوس عام ١٧م حتى مغادرته الإجبارية من سوريا عام ١٩م والصراع بين تيبيريوس وجيرمانيكوس وانسحاب بيسو من مشهد موت جيرمانيكوس والنزاع المسلح بين الجنود الموالين لسلطة جيرمانيكوس وبين جنود بيسو، وتنتهي بهزيمة بيسو واستدعائه لروما . وهي تحتل ١٨ فصلاً من الحوليات الكتاب الثاني،

⁵⁰ - Wellesley . K., " Can You Trust Tacitus ? " . G&R .vol . 1, N. 1 (1954) . P .13 .

⁵¹ - Damon. C., " The Trial of Cn. Piso in Tacitus' Annals and The " Senatus Consultum de Cn. Pisone Patre " : New Light on Narrative Technique . " AJPh , vol . 120 , N. 1 (1999) . P. 143.

وهنا قد سرد تاكيتوس أحداثاً حقيقية متشابهة مع ما جاء في أعمال مجلس الشيوخ .Scpp

أما الجزء الثاني من السرد فيقع في الكتاب الثالث ويشمل محاكمة بيسو في روما ورد فعل الشعب تجاه بيسو وتيبريوس وأخذ النار لموت جيرمانيكوس، وفي هذا الجزء قد حجب تاكيتوس الحقيقة تحت غمامة الشائعات المستخدمة في هذا الجزء بكثرة. وردت هذه القصة في أعمال مجلس الشيوخ أو ما يعرف SCPP، وبمقارنة ما ورد في هذه الوثيقة وما سرده تاكيتوس في الحوليات عن القصة ذاتها نجد أن هناك حذف لجزء من أعمال مجلس الشيوخ لم يذكر عند تاكيتوس، وهو جزء مهم لمعرفة أبعاد الحقيقة التاريخية. هذه الحقيقة المتعلقة بمسؤولية بيسو عن قتل جيرمانيكوس.

يبدأ السرد عند تاكيتوس في الفصل ٦٩ من الكتاب الثاني الذي يتحدث فيه جيرمانيكوس على فراش موته بأن سبب مرضه السم الذي وضعه له بيسو، وإن بيسو قد أرسل للتجسس عليه، وبدلاً من أن يظهر كيف وصل جيرمانيكوس إلى هذا الاعتقاد، حدثنا عن وجود بعض أمارات استخدام التعاويذ السحرية التي وجدت في جسد جيرمانيكوس، وقال إن أصدقاء جيرمانيكوس قد شهدوا الدليل على السم، وبدءوا في عرض شكوكهم على الرأي العام وسمحوا بأن تعرض الجثة للرأي العام كي يشاهدوا الآثار الخارجية للسم، وبعد أن وجد الدليل على السم كان الرأي العام مثلهفاً لنشر خبر موت جيرمانيكوس بالسم، ثم أدخل تاكيتوس مؤثراته الدرامية، حينما ذكر المرأة المشهورة بوضع السم وتدعى مارتينا Martina، كانت على صلة بزوجة بيسو، كل هذا الكم من الشائعات التي زجت على الأحداث لخلق الجو الدرامي والتأثير المقنع، ولإدخال الحبكة الدرامية، جاء موت هذه المرأة مفاجئاً في طريقها إلى روما، وذلك لزيادة شكوك العامة وتأكيد حقيقة أن جيرمانيكوس مات مسموماً. كل هذا السرد الدرامي لم يذكر فيه تاكيتوس أي تفاصيل عن كيفية وضع السم، بالرغم من أنه

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

في مكان آخر وهو تسمم دروسوس ابن تيبيريوس قد أثبت موته بالسم وفصل كيف وضع السم له، إذن فإن شائعة تسمم جيرمانيكوس كانت لإدخال التأثير الدرامي على الأحداث وغيابها من السرد كان سيؤثر على الحبكة الدرامية التي يريد تاكيتوس أن يصف بها مساوئ عصر الإمبراطورية.

الجزء الثاني من السرد وهو محاكمة بيسو، وكان الإدعاء بالتسمم هو محور اهتمام تاكيتوس وافترض أن بيسو قد مس طعام جيرمانيكوس بيده الملوثة بالسم:
in convivio Germanici, cum super eum Piso discumberet,
infectos manibus eius cibos arguentes.

" في مائدة جيرمانيكوس، حينما كان بيسو متكئاً على منضدة الغداء بجواره، لیتهم بخلط طعامه بيده (المسمومة) " (52)

ويؤكد تاكيتوس على ذلك بأن جيرمانيكوس نفسه وعدد من أصدقائه لم يروا ما شرع بيسو في تنفيذه ولم يذكر تاكيتوس عبید جيرمانيكوس المقربين وإنما ذكر الغريباء منهم:

quippe absurdum videbatur inter aliena servitia et tot adstantium visu, ipso Germanico coram, id ausum;

" بالتأكيد من الحماسة أن يرى بين العبيد الغريباء وأن يجري على فعل هذا تحت أعين العديد من المتفرجين، وفي حضور جيرمانيكوس نفسه " (53)

ووفقاً لسرد تاكيتوس يصف الدفاع واثقاً من قدرته على رد التهم، وذكر أن بيسو عرض أن يترك المحكمة ويتم الكشف على عبده الخاص، ويطلب من الوكلاء وضع من ثبت عليهم التهم للتعذيب. (54)

حتى الآن يبدو السرد متماسكاً ولا يوجد أي دليل قاطع على أن جيرمانيكوس قد مات مسموماً، ولكن بلمحة على الأحداث المذكورة في أعمال مجلس الشيوخ، نجد أنه ليس

52- Tac. Ann. 3 .14 . 5-6 .

53 - Ibid .3 .14 . 7-8 .

54- Ibid. 3 .14 . 2- 4 .

هناك أي كلمة عن تسمم جيرمانيكوس، ولكن فقط صدى لزعم جيرمانيكوس على فراش موته بأن بيسو هو سبب موته . وكان السبب الموضح في أعمال مجلس الشيوخ هو الابتعاد عن صداقته أي صداقة جيرمانيكوس لبيسو (٢٧ - ٢٩). ثانياً فإن مجلس الشيوخ لم يلق اهتماماً عن السبب لموت جيرمانيكوس، والجريمة التي سقط بها بيسو في المحاكمة هي جريمة الإضرار بمصالح الدولة وإفساد الانضباط العسكري بالتدخل في الشؤون الخارجية لصالحه الخاص، والتحريض على الحرب الأهلية، وقدم السناتوس تقريراً عن وجهات نظره مزوداً بالشكر للآلهة الخالدة لأنها لم تسمح لخطط بيسو الدنيئة لإزعاج سلامة الدولة. ويوضح المصدر موقف تيبيريوس تجاه بيسو بالانزعاج منه بسبب الحرب الأهلية التي خطط لها.⁽⁵⁵⁾ إذن فإن المصدر مختلف تماماً مع تاكيتوس الذي جعل موت جيرمانيكوس قضية بارزة أكثر بكثير من الاضطرابات التي كان ينوي بيسو أن يدمر بها أمن الإمبراطورية الرومانية، ويرجع هذا الاختلاف إلى إدخال العناصر الدرامية في سرد تاكيتوس . وبالطبع فإن هذا الاختلاف بين النسختين قد أثر على نتيجة المحاكمة، عند تاكيتوس جاءت المحاكمة بسبب الثأر لموت جيرمانيكوس، الثأر الذي نادي به أصدقاء جيرمانيكوس وأرملته التي أرادت أن تحصل عليه بمجرد وصولها إلى روما مع رفات زوجها، الثأر الذي أراد الشعب أن تحققه المحاكمة. وفي النهاية تحدث تاكيتوس عن الشكر على قرار الثأر لموت جيرمانيكوس، وليس كما ورد في أعمال مجلس الشيوخ أنه شكر للآلهة على سلامة الدولة من مخطط بيسو. وهنا نرى صوت تاكيتوس على الشخصيات التي تطالب بالثأر. في سرد تاكيتوس حول موت دروسوس يقول تاكيتوس إن الشائعات قد ارتبطت بموت الرجال الأقوياء في الدولة:

atrocior semper fama erga dominantium exitus.

⁵⁵ - Damon. C., op .cit . PP. 157- 161 .

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

" الشائعة الشريرة دائماً تصيب الموتى من الحكام. " (56)

وهذا يتفق مع موت جيرمانيكوس والشائعات الكثيرة التي ارتبطت به، ويبدو أن هذه الشائعات كانت أكثر في عهد تيريوس. وتاكيتوس كما ناقشنا لا يرفض تناول هذه الشائعات ولا يعلق عليها وإنما يستخدمها في إثراء البناء الدرامي للأحداث.

لقد أتاحت لنا سجلات المجلس أن نرى انحراف تاكيتوس المتعمد عن السجل الرسمي للأحداث، وإكمال الأحداث بشكل درامي من وحيه الخاص وصعوبة اكتشاف الحقيقة بسبب تماسك الأحداث، فهذا يدل على براعة تاكيتوس الأدبية أكثر من براعته كمؤرخ أو بالأحرى الثقة به كمؤرخ.

هناك عدة آراء حول مصداقية هذه الشائعات عند تاكيتوس، يرى البعض أنها جميعاً من اختراع تاكيتوس، وهذه وجهة نظر غير مقبولة، ويرى البعض الآخر أن كثير من هذه الشائعات تعبر عن الحقيقة التاريخية، وهناك أيضاً شائعات زائفة ليس لها أساس من الصحة التاريخية، وقد أظهر تاكيتوس ذلك الأمر بنفسه. (57) إن كثرة استخدام الشائعات في حوليات تاكيتوس جعلت ميريفل Merivle يصور حوليات تاكيتوس كنوع من فن الهجاء الذي تميز فيه يوفيناليس. (58) أما جيروم Jerome فقد اعتبر أن شخصية تيريوس عند تاكيتوس هي شخصية خيالية من اختراع تاكيتوس نفسه، اخترعها بموجب الأدوات التي تعلمها ودرسها في مدارس الخطابة. (59) و لم يقبل الدارسين لتاكيتوس رأى جيروم عن اختراع شخصية تيريوس و إنما قبلت نظريته في استخدام تاكيتوس للأساليب الخطابية، هذه الأساليب الخطابية هي التي تجعل ادعاءات تاكيتوس مقبولة ومقنعة، فعن طريق هذه الأساليب ترك تاكيتوس في

56 - Tac .Ann .4 .11 .11 .

57- Shatzman .I .op .cit . p. 550 .

58- Merivle C., History of Romans under the Empire, vol. 7. London.1865 PP. 342-346 .

59- Jerome T . S ., the Tacitean Tiberius , cph . N . 7 (1912) PP. 265 – 292

ذهن القارئ انطباعاً متأصلاً عن استبداد تييريوس وظلمه. فلقد أكد ريبيرج Ryberg أن تاكيتوس يستخدم التعريض لإمالة القارئ تجاه التفسير الأسوأ.^(٦٠) أما باكا Eugene Bacha فقد اتهم تاكيتوس بأنه يطرح الأكاذيب في عمله عن عمد.^(٦١) ثم جاء جيبسون Gibson ليلخص آراء السابقين عليه في معالجة تاكيتوس للشائعات ويقول إن البعض يرى استخدام تاكيتوس للشائعات جاء من باب وضع اقتراحات للأحداث دون تحرى الدقة أو الخطأ في سرد تلك الحدث، والبعض الآخر ذهب إلى أبعد من ذلك ورأى أن معالجة تاكيتوس للشائعات كان دورها أن تقوم بوضع ظلال قاتمة لبعض الشخصيات وعلى رأسهم تييريوس:^(٦٢)

Sed non omiserim eorundem temporum rumorem ,validum adeo, ut nondam exolescat .

" ولكنى لم أغض الطرف عن أي شائعة تعود لتلك الفترات ، و قد بلغت الشائعة من

القوة إلى الحد الذى جعلها قائمة إلى يومنا هذا ".^(٦٣)

أما ميللر Mellor فيؤكد أن استخدام الشائعات عند تاكيتوس دليلاً على نقص المصادر الموثوق فيها.^(٦٤) أما سايم Syme فيرى أن الشائعات تحمل تعليقات المؤرخ، وهي أداة لتضليل.^(٦٥) وهذا يرجع إلى استخدام الشائعات وفن التعريض الذي استطاع من خلالهما أن يقدم آراء متنوعة وتفسيرات متعددة. واقترح البعض أن تاكيتوس قد تأثر بالخلفية الاجتماعية والقيم الأخلاقية والتجارب السياسية التي دفعته لإعطاء أكثر من تفسير للحدث الواحد. حتى أن ووكر Walker قال إن تاكيتوس كان منهمك في رسم صورة تييريوس المستبد وفي هذا المعنى السياسي، الذي يرى أن

⁶⁰- Ryberg I. S., op . cit . p . 383.

⁶¹- Bacha E., Le Genie DE Tacite : La Creation Des Annales . Paris 1906 . p. 324

⁶²- Gibson B.J., op . cit . pp . 111- 112 .

⁶³- Tac .Ann .4 .10 . 2 – 3 .

⁶⁴- Mellor. R. ,Tacitus , Routledge,1994 , p . 32 .

⁶⁵- Syme R. Tacitus , Oxford , 1958 . p .316 .

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

تاكيتوس متأثرًا بما حدث في عهد دوميتيانوس عهد الإرهاب وتدهور الفضيلة. واستطاع تاكيتوس من خلال فن التعريض والشائعات المقدمة أن يدير ثلاثة جوانب رئيسية للحديث، الجانب الأخلاقي والخطابي والتاريخي، وإن بدا الحديث متناقضاً فإنه في النهاية حديثاً مؤثراً.^(٦٦)

الخاتمة

كما رأينا أن الشائعات عند تاكيتوس تلعب أدواراً حاسمة في تبرير الأحداث التابعة، وفي وضع ظلال قاتمة على بعض الشخصيات، وفي تقديم آراء معاصرة للحدث، وتعد دليلاً على رد فعل الشعب تجاه حاكمهم والأحداث التي تدور من حولهم. وهي أن كان بعضها ينطوي على الحقيقة^(٦٧) إلا أن أكثرها يبتعد عن الحقيقة التاريخية. وإذا كان الهدف من تقديمها عند تاكيتوس هو اكتمال الرؤية التاريخية للأحداث، وأمانة تاريخية لا بد ألا يكتمها، إلا أن تاكيتوس كان بارعاً في ترتيب هذه الشائعات في الأحداث حتى يخرج القارئ ببعض الأحكام والانطباعات التي لا يريد

⁶⁶ - Walker B ., The Annals of Tacitus : A Study in the Writing of History, Manchester , 1962. p. 142.

⁶⁷ - Derausse P., Tacitus' Documentary sources for Annals I – VI , Diss. Loyola University , Chicago. May 2003 . pp 188 – 211 .

في هذه الرسالة يستعرض الباحث آراء الدارسين السابقين عن الشائعات عند تاكيتوس وقد تم مناقشتها في هذا البحث باستفاضة يحاول الباحث أن يظهر أن هذه الشائعات ليست من اختراع تاكيتوس كما يدعى البعض، وليست طريقة فنية لإلصاق الاتهامات وتوجيهها إلى الشخصيات دون تحمل المؤرخ مسؤولية الدقة التاريخية، وإنما هي جزء من مصادره التاريخية، وقد رجع هذا الباحث إلى أعمال مجلس الشيوخ وأثبت جهود مجلس الشيوخ في دحض هذه الشائعات وذكر عدة أمثلة على ذلك، وقال إن تاكيتوس كان يقدم كل المصادر التي بين يده عن سبب الحدث بما في ذلك الشائعات التي تتحدث عن هذا الحدث. ولقد قدم تاكيتوس كل جوانب القضايا التي يناقشها دون أن يصدر أية أحكام، وقال إن التعريض عند تاكيتوس يعتبر الفصل الرسمي عن المصادر غير الموثوق فيها ولكن جديرة بالتصديق، وأعطى لنا مثالا بموت بيسو وقال إن السبب الجوهرى لموته هو غيرة تيبريوس من جيرمانيكوس، وقال إن تيبريوس والسناتوس قد عملوا مجهوداً كبيراً لسحق هذه الشائعات عن طريق نشر المرسوم السناتورى في أنحاء الإمبراطورية وكذلك في معسكر الجيوش. و يقول إن تاكيتوس قد لجأ لهذه الشائعات لأنها كانت الطريقة الوحيدة للربط بين موت جيرمانيكوس ومارتينا و بيسو ودور ليفيا الغامض في هذه القضية. ولكن أرى أن سرد تاكيتوس لموت جيرمانيكوس كان ملئاً بالشائعات التي تسعى إلى توجيه أصابع الاتهام إلى تيبريوس و حكمه الملئ بالمؤامرات.

نهى أحمد مهدي

تاكيتوس أن يقدمها كوجهة نظر خاصة به كمؤرخ وإنما يجعل القارئ يصل إليها بنفسه عن طريق براعته الفنية وتأثيراته الدرامية.

دور الشائعات في حوليات تاكيتوس

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

Tacitus, Annales, (3 Vols), Trans. by J. Jackson, L.C.L. (2006) .
Idem, Historiae, (2 Vols), Trans. by C. H. Moore, L.C.L.(1956) .

ثانياً : المعاجم :

The Oxford Classical Dictionary ,thrd Edition , Ed. by Hornblower and Spawforth, 1993 .

ثالثاً:المراجع الأجنبية :

- Allen W. J .R ., " The Death of Agrippa Postumus," TAPA vol. 78, (1947).
PP.131-139.
Autin L., " Rumour as A Literary Device in Tacitus," Histos Working
Papers 2015.PP . 1- 17 .
Bacha E., Le Genie de Tacite : La Creation des Annales. Paris 1906 .
Barrett A. A., " Tacitus, Livia and the Evil Stepmother," RhM vol. 144 . N.
2 (2001).pp . 171 – 175 .
Chapman C.S., " The Artistry of Tacitus, " G&R vol. 16, N.47 (1947) pp.
85- 87 .
Damon C., " The Trial of Cn. Piso in Tacitus' Annals and The " Senatus
Consultum de Cn . Pisone Patre " : New Light on Narrative
Technique," AJPh, vol. 120, N. 1 (1999) .pp. 143 – 162.
Derousse P., Tacitus' Documentary Sources for Annals I – VI, Diss.
Loyola University, Chicago. May 200 .
Gibson B.J., " Rumours as Causes of Events in Tacitus, " Materiali e
Discussion per l'analisi dei Testi Classici, N .40 (1998). pp. 111
– 129 .
Goodyear F.D.R ., The Annals of Tacitus Vol. II, Cambridge, 1981.
Jerome T.S., " The Tacitean Tiberius, A Study in Historiographic Method, "
CPh vol. 7. N .3 (1912) . pp. 265 – 292.
Martin R.H., " Tacitus and The Death of Augustus " CQ vol. 5 , N,1 (1955) .
pp. 123 – 128.
Mellor R., Tacitus , Routledge, 1994.
Merivle C ., History of Romans under the Empire, vol. 7 . London 1865 .
Ryberg I.S., " Tacitus' Art of Innuendo " TAPhA vol. 73 (1942) pp. 383 –
404 .
Shatzman . I., " Tacitean Rumours, " Iatomus vol. 33. N.3 (1974) pp. 549 –
578 .

- Shotter D.C.A., " Tacitus, Tiberius and Germanicus," Historia vol. 17, N. 2 (1968) pp . 194 – 214 .
- Idem," Tacitus' View of Emperors the Principate, " ANRW vol.2,33,5 (1991). pp. 3263 – 3331.
- Sullivan D., "Innuendo and The " Weighted Alternative " in Tacitus," CJ (1976) pp. 312-326
- Syme R., Tacitus. Oxford. 1958.
- Walker B. , The Annals of Tacitus: A Study in the Writing of History, Manchester, 1962.
- Wellesley K., " Can You Trust Tacitus?, " G&R vol. 1, N. 1 (1954) pp. 13 – 33.
- Whitehead D., " Tacitus and the Loaded Alternative, " Latomus vol. 38. N. 2 (1979) pp. 474 – 495 .
- Williams K.F., " Tacitus' Germanicus and the Principate, " Latomus vol.68 , N.1, (2009) pp. 117 – 130 .

رابعًا: المراجع العربية:

نهى أحمد، رسالة دكتوراه " صورة نساء القصر في عصر كلاوديوس من خلال الدراسة التحليلية "لحواليات " تاكيتوس ، القاهرة ٢٠١٦.